المفاضلة بين الصحابة الكرام (نقاش)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أختار وأجتبى، والصلاة والسلام على سيد أهل الإصطفى، وعلى آله الذين ظفروا بالقدح المعلى بانتسابهم للمصطفى ، وعلى الصحب الذين صحبوه وتملوا برؤية محياه فكانت مكانتهم في العلى بل فوق السماء

وبعد :

١- مقـــدمة :

فقد رتب الله لبزوغ شمس الرسالة الأسباب التي بسببها وصلت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم الى مشارق الأرض ومغاربها ، ومن أعظم الأسباب التي شرف الله به هذه الأمة المحمدية ، هو اختيار صحبه من بين الخلائق، رضوان الله عليهم أجمعين ، فضربوا أعظم الأمثلة في توقيرهم لرسول الله واحترامهم واجلالهم له ولزومهم له صلى الله عليه وسلم كلزوم الهالة للقمر والأكمام للثمر ، فوصفوا لنا حاله ، ونقلوا لنا مقاله، ووصفوا تبسمه ، ووصفوا نعله الشريف ، ووصفوا مشيه ، فرضي الله عنهم أجمعين ، حتى أذهل من شاهد العلوم التي خدمت ميراث النبي الذي لم يأتي إلا من طريق صحابته المبجلين أيما ذهول ، فقد قال المستشرق المعروف الألماني المشهور ب(اسبرنجر) في مقدمته على الإصابة المطبوع في كلكتا سنة ١٨٣٥ م – ١٨٦٤ (لم يعرف التاريخ في ماضيه ولا حاضره أمة أتت في علم الرجال بمثل ما أتى به المسلمون خدمة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) فرضي الله عنهم أجمعين.
بعد ما تقرر من تبين فضلهم ومنزلتهم ، جاءت مسألة التفضيل في

ما بينهم ، وفيما أحسب أن المسألة أخذت حيزا كبيرا في تراث المسلمين ، فقد وقع الخلف في هذه المسألة بين المتقدمين والمتأخرين ، ولكن كان الخلف في المتقدمين -في عصر الصحابة -، منضويا تحت مفهوم خلاف التنوع لا خلاف التضاد ، وسيتضح ذلك جليا من خلال هذه الرسالة الوجيزة ، التي ليس لي فيها إلا الضم والجمع والتهذيب.

وأسأل الله لي وللمسلمين المعونة والمثوبة ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبة أجمعين .

٢- المفاضلة عموما :

المفاضلة سنة كونية لا محيص عنها ، ولا جدال فيها نقلا وعقلا:

فقد قال الله تعالى (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض).

وقال جل ذكره (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس)

فأما العقل :

فلا يتصور مجتمع بدون تفاوت في معيشتهم في المنزلة والمكانة والقدر ، فالملك غير الوزير ، والموظف غير المدير ، والأب ليس كالولد ، بل بينهما تفاوت في المنزلة والقدر ، وهذا من البديهيات التي يعقلها العاقلون .

٣- المفاضلة بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وتنقسم الى قسمين :

١ – قطعي .

٢ – ظني .

والقطعي هو : تفضيل وقع فيما بينهم بدليل قطعي الدلالة قطعي الثبوت .

كتفضيل المهاجرين والأنصار على الذين أسلموا من بعد فتح مكة.
قال الله تعالى (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى)

والظني هو : تفضيل نشء عن اجتهاد مستنبط من أدلة ليست قطعية الدلالة .

كتفضيل أحد الصحابة على أحد ،المستنبط من أدلة فضائلهم .
وهذا هو موضوع هذه الرسالة .

٤- التفضيل الظني :

تقدم مما سبق أن التفضيل الظني الذي يبنى على اجتهاد .
كتفضيل أبي بكر على عمر ، وكتفضيل عمر على عثمان ، وكتفضيل عثمان على علي .
وهذا التفضيل ينضوي تحت قاعدة (ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة) . وهذا لا يفيد القطع لأنه نشأ عن اجتهاد كما سبق ، بل يفيد الظن ، ومن العلماء الأجلاء من جعل هذه المسألة من مسائل العقيدة وجعلها من القطعيات ، ومنهم من جعلها من المجمع عليها بين المسلمين ، وهذا مانحن بصدده لمناقشة أصحاب هذا الرأي ، فوق مائدة العلم والأدب والإحترام

٥- ورود مسألة (ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة) في كتب الإعتقاد :

مسائل العقيدة لا تؤخذ الا بدليل قطعي الدلالة قطعي الثبوت (متواتر)، ولا أظن أن أحدا يخالف في ذلك .
وحينما نعرض مسألة (ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة) على الأدلة التي انبنا عليها هذا الرأي نجدها خرجت نتيجة اجتهاد

بغير نص ، بل انها خرجت نتيجة عرض فضائل سيدنا أبي بكر (الفاضل)ومقابلتها على فضائل سيدنا عمر(المفضول) وعرض فضائل سيدنا عمر (الفاضل) على فضائل سيدنا عثمان (المفضول) وعرض فضائل سيدنا عثمان (الفاضل) على فضائل سيدنا علي (المفضول) .

وهكذا فينتج من خلال ما تقدم أن التفاضل بين الأئمة الأربعة ، تفاضل ناتج عن اجتهاد ، بعرض الفضائل . وفيه نظر :

١ - قد يكون في الفاضل فضائل كثيرة من حيث كمها ، ويكون في المفضول فضيلة ولكنها من حيث قدرها كبيرة ، فليست هذه تفيد قطعا .

واذا ثبت ذلك فورود تفضيل سيدنا أبي بكر على سيدنا عمر وتفضيل سيدنا عمر على عثمان وتفضيل سيدنا عثمان على سيدنا علي رضي الله عنهم أجمعين ، ظني والظن لا يؤخذ به في العقائد.

قال الإمام الباقلاني في كتابه المناقب (ص ٢٩٥) : وجملة ما يقوى في هذا الباب : أن الكلام في التفضيل مسألة اجتهادية لا يبلغ الخطأ بصاحبه فيها منزلة الفسق ، وما يوجب البراءة ، لأن الفضائل المروية أكثرها متقابل متعارض في الفضل .)

وقال أيضا في كتابه المذكور (ص ٤٨١) : وقد قلنا في صدر الكلام في التفضيل : إنها مسألة اجتهادية وأن الأمر محتمل وأن ما نذكره من خلال الفضل أحكام ظاهرة على الفضل إذا عرف أنه أريد بها التقرب ، وأنه لا يمكن التوصل بها الى القطع على الله سبحانه بأن صاحبها أفضل من غيره ممن عرف بقلة العمل ، أو ممن لم يعرفه إلا بأداء الفرائض فقط ، وأن الإثم ساقط عن كل مفضل لواحد منهما على صاحبه إذا غلب ذلك في اجتهاده وظنه ، وليس ذلك إلا لاحتمال الأمر ، فليتق الله عبد ، ولينظر فيما قلناه نظر متأصل غير متجامل للرجال ، ولا متعصب)

وقال الآمدي في كتابه – أبكار الأفكار – ص ٣٠٩-٣١٠ :

والذي عليه اعتماد الأفاضل من أصحابنا أنه لا طريق الى التفضيل بمسلك قطعي ، وأما المسالك الظنية فهي متعارضة ، وقد يظهر بعضها في نظر بعض المجتهدين ، وقد لا يظهر) ثم قال (وإن قلنا بأن إمامة المفضول لا تصح مع وجود الفاضل فليس ذلك مما ينتهض الحكم في الى القطع بل غايته الظن ، فإجماع الأمة على إمامة أحد وإن كان قاطعا في صحة إمامته فلا يكون قاطعا في لزوم تفضيله)

وذكر كذلك ابن حجر الهيتمي الشافعي في الصواعق المحرقة (٩٨ ص) ، وذكر بنحوه الغزالي في الاقتصاد في الاعتقاد (٢٠٧ص)، وذكر ذلك أيضا إمام الحرمين (٤٣١ ص) ، وذكره المازري وغيره كثيرون.

٦- واقع الصحابة -رضي الله عنهم- لا يتوافق مع قاعدة (ترتيبهم في الأفضلية كترتيبهم في الخلافة) لأمور :

١- تأخر شخص وتقدم شخص لا يدلنا على أن المتقدم فاضل على المتأخر ، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان آخر الأنبياء ولا يقودنا ذلك الى القول بأن النبي مفضول لتأخر في النبوة ، بل هو سيدهم كما قال صلى الله عليه وسلم(أنا سيد ولد آدم ولا فخر).

وكذلك في تولي الأمارات الصغرى ، فعمرو بن العاص – رضي الله عنه – كان واليا للنبي وأبي بكر وعمر على بعض البلاد، وهو ممن أسلم بعد الفتح ، فلا يقودنا ذلك للقول بأن عمرو بن العاص – رضي الله عنه – أفضل من أبي عبيدة الجراح لأن النبي صلى الله عليه والسلام لم يوله شيئا من الأمارات .

٢- عندما ولي الحكم سيدنا أبو بكر الصديق- رضي الله عنه – قال (وليتكم ولست بخيركم) رواه أبو داود في باب الزهد.
فلو كان يعلم أنه أفضل الصحابة لقال ،لأنه كان صديقا رضي الله عنه وأرضاه ، وقوله لا يتوافق مع القاعدة البته.

٣- قال سيدنا أبو بكر – رضي الله عنه – قبل البيعة في السقيفة (قد رضيت لكم أحد الرجلين عمر وأبي عبيدة)
فلو كان يعلم أنه الخلافة منوطة بالأفضلية ، وهو الأفضل ، لما أحال الأمر الى رجلين ، ولا بد أن يكون أحد الرجلين أفضل من الآخر .

٤- أخرج مسلم في صحيحة ، أن السيدة عائشة سئلت ، من كان رسول الله مستخلفا لو استخلف؟ قالت : أبو بكر ، فقيل لها : من بعد أبي بكر ؟ قالت : عمر ، فقيل من بعد عمر ؟ قالت أبو عبيدة)

فيستفاد من هذا الحديث أن من قال بالتلازم بين الخلافة والأفضلية يجب عليه أن يقدم أبا عبيدة على عثمان وعلي رضي الله عنهما لأن السيدة عائشة قدمته .

ويستفاد أيضا أن السيدة عائشة قالت ذلك لما رأت من علامات القيادة في أبي عبيدة مع الدين الوافر ، لا من حيث أنه أفضل من غيرهما في الثواب أو المكانة عند الله - كما ذكره بعض العلماء(شرح الجوهرة للقاني) ، فهذا غيب لا يعلمه الا الله ، ولا يقطع به إلا إذا أتى نص من الشرع ،قطعي الدلالة .

٥- لو كان التلازم بين الخلافة والأفضلية في أذهان الصحابة ، لكان النقاش حول الأفضلية في السقيفة، فلقد قالت الأنصار (منا أمير ومنكم أمير) فقال سيدنا أبو بكر (منا الأمراء ومنكم الوزراء) وبعد ذلك احتج المهاجرون على الأنصار بقول النبي صلى الله عليه وسلم (الأئمة من قريش) فاقتنع الأنصار بذلك وقال سيدنا أبو بكر (رضيت لكم أحد الرجلين عمر وأبي عبيدة) فلم يكن النقاش في أقوالهم حول أفضلية أحدهم على الآخرين ، بل كان الأدلة من الطرفين على تقديم الرجل القادر على ذلك الأمر العظيم ،فأحالها عمر لأبي بكر رضي الله عنهما.

٦- ما جاء في صحيح البخاري : أن العباس قال لعلي رضي الله عنهما في مرض النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه ، اذهب بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلنسأله فيمن هذا الأمر ، إن كان فينا علمنا بذلك ، وإن كان في غيرنا علمنا بذلك ،فأوص بنا ...)

ويستفاد من سؤال العباس لعلي رضي الله عنهما أن التلازم لم يكن في أذهانهم ، ولكن كان السؤال عن الخليفة الذي يمكن أن يدير البلاد بفكر سياسي مع دين وورع بلا شك ، وكلام العباس لعلي رضي الله عنهما يفيد أن الخلافة من الممكن أن تكون عندنا ، أو عند غيرنا ، وإن كانت من الممكن أن تكون عندنا أو عند غيرنا ،

فلا تكون الخلافة منوطة بالأفضلية ، بل منوطة بشخص معين يعينه الحبيب صلى الله عليه وسلم.

٧- ورد عن سيدنا علي رضي الله عنه أنه قال لما ظهر في معركة الجمل : (أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلملم يعد إلينا من هذه الإمارة شيئاً ، حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر ، فأقامو إستقام حتى مضى لسبيله) تاريخ الإسلام للذهبي وقال اسناده حسن.

وسيدنا علي لم يربط تولي سيدنا أبي بكر بالأفضلية ، بل ربطها بمطلق الرأي ، ولو رجعنا لما حصل في السقيفة لم نجد كلاما يتعلق بأفضلية سيدنا أبي بكر على جميع الصحابة ، بل ذكر سيدنا عمر بعض فضائله وهو لها أهل ومحل، ولكن الفضائل متعارضة ولا يمكن من خلالها أن نجزم بحكم كما تقدم في كلام الباقلاني وغيره ، والرأي الذي ذكر في كلام سيدنا علي يفيد أنه لم يكن نص على تفضيل أبي بكر بل هذا رأي ، وقد خالف الأنصار ، وأحال الصديق الخلافة الى عمر وأبي عبيدة ، ثم ردتت إليه .فلا يمكن القطع بذلك كما تقدم في كلام سيدنا علي رضي الله عنه.

٨- جاء في كتاب البداية والنهاية (١٧٧\٧) : أن سيدنا عبد الرحمن بن عوف قال : أيها الناس ، إني سألتكم سرا وجهرا بأمانيكم ، فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين إما علي وإما عثمان ، فقم يا علي ، ثم قال : هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وفعل أبي بكر وعمر ؟ قال : لا ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي ، قال : فأرسل يده ، وقال : قم الي يا عثمان ، فأخذ بيده فقال : هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وفعل أبي بكر وعمر؟ قال : اللهم نعم .) فيؤخذ من هذا النص الجلي الواضح دلالة على أن تقديم عثمان لم

يكن لفضله أو لمزاياه (وهو لها أهل ومحل) ولكن لأنه أبدى أستعداده لتولي هذه المهمة العظيمة فبايعه الناس لقبوله كلام سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم أجمعين.

٩- بعض الصحابة والتابعين يخالفون قاعدة (ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة) بتفضيل آخر كتفضيل أم المؤمنين أم سلمة أبا سلمة رضي الله عنهما ، وكتفضيل الحسن لعلي رضي الله عنهما ، وكتفضيل عمر على سائر الصحابة ، وكتفضيل جعفر أو حمزة ، وكتفضيل من مات في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكتفصيل السيدة فاطمة على سائر الصحابة ، وسيتبين ذلك جليا في الفصل التالي .

٧ – نقل الإجماع على قبول قاعدة (ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة) فيه نظر لأن في عصر الصحابة أنفسهم ومن بعدهم، لم يقم إجماعا على هذه القاعدة لتفضيل بعض الصحابة صحابة آخر ممن لم يتولوا الخلافة .

١ - بعض الصحابة يفضلون عمر رضي الله عنه على سائر الصحابة .

أ-ومن ذلك مارواه ابن حزم في الفصل (الكلام في وجوه الفضل والمفاضلة بين الصحابة):

وروينا عن بعض من أدرك النبي صلى الله عليه وسلم : إن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأنه أفضل من أبي بكر رضي الله عنه .) وقال الحافظ في الفتح (٧- ١٧) : ومنهم من قال أفضلهم مطلقا عمر).

ب-وجاء في صحيح البخاري حديث(٣٦٨٧): عن زيد بن أسلم حدثه عن أبيه قال سألني ابن عمر عن بعض شأنه – يعني عمر – فأخبرته – فقال (ابن عمر) : ما رأيت أحدا قط بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين قبض كان أجد وأجود حتى انتى من عمر بن الخطاب) فأول الحافظ رحمه الله النص الصريح في تفضيل ابن عمر لأبيه لأنه ممن يأخذ بقاعدة (تفضليهم كترتيبهم في الخلافة) وقال : يحتمل أن يكون المراد بالبعدية في الصفات لا يتعرض فيه للزمان ، فيشكل بأبي بكر وبغيره من الصحابة ممن يتصف بالجود المفرط أو بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشكل بأبي بكر الصديق أيضا ، ويمكن تأويله بزمان خلافته)

قلت : قول ابن عمر : ما رأيت أحدا : يفيد عام ليس في استثناء ، وأتبع ذلك ، بقط ، للتأكيد على مراده ، ثم قال : بعد موت رسول الله : أي يشمل جميع الصحابة ، والله أعلم .

ج – ذكر في الإستيعاب (٣-٣٩٢) قال : وذكر عبدالرزاق عن معمر بن راشد : لو أن رجلا قال : عمر أفضل من أبي بكر ما عنفته ، قال عبدالرزاق : فذكرت ذلك لوكيع فأعجبه واشتهاه)

قلت: عبد الرزاق بن همام بن نافع ، الحميري مولاهم ، أبو بكر الصنعاني ، ثقة حافظ مصنف شهير .)- تقريب التهذيب.-وهو من رجال الصحيحين .

ومعمر هو : معمر ابن راشد : من رجال الصحيحين .

وقال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي في كتابه الجمع بين رجال الصحيحين(٣٣٩) :

أخبرنا أبو القاسم بنيسابور ، أنا أبو الحسن الخفاف ، ان أبا العباس السرّاج قال : سمعت محمّد بن سهل بن عسكر يقول : سمعت أحمد بن حنبل يقول: إذا اختلف الناس في حديث معمر فالقول ما قال عبدالرزاق).

فهذا قول كبار أئمة المسلمين معمر وعبد الرزاق اللذين روى عنهما الشيخان ، لم يريا غضاضة في تفضيل عمر على أبي بكر ، لأنها مسألة اجتهادية لا يبلغ مخالفها درجة الفاسقين الذين رغبوا عن الدين وشريعة سيد المرسلين .

٢ – ومنهم من فضل جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه على سائر الصحابة ، فقد أخرج الترمذي والحاكم بإسناد صححه الحافظ ابن حجر في الفتح (٩٥\٩) قال سيدنا أبو هريرة : ما احتذى النعال ، ولا انتنعل ولا ركب المطايا ، ولا ركب الكور من رجل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جعفر .)

وورد في حديث البخاري (٣٧٠٨) – باب مناقب جعفر رضي الله عنه - أن سيدنا أبا هريرة قال : وكان أخير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب ...)

قال الحافظ في شرح الحديث : (٩٥\٩) :

(وكان أخير) : بوزن أفضل ومعناه . ، (للمساكين) : وهذا التقييد يحمل عليه المطلق الذي جاء عن عكرمة عن أبي هريرة وقال (ما احتذى النعال ...) أخرجه الترمذي والحاكم بإسناد صحيح .) انتهى كلام الحافظ رحمه الله .

٣ - ومنهم من فضل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

قال ابن حزم في الفصل (١٨٢\٤): (وروينا عن مسروق بن الأجدع ، وتميم بن حذلم، وإبراهيم النخعي ، وغيرهم أن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن مسعود ، قال تميم (من كبار التابعين- ثقة -) : رأيت أبا بكر وعمر فما رأيت مثل عبد الله بن مسعود .)

٤ – ومنهم من فضل أبا سلمة رضي الله عنه:

أخرج مسلم في صحيحه بشرح النووي (٥-٦\٤٦١) بسنده الى أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، أنها قالت عند موت أبي سلمة : من خير من أبي سلمة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم)

قلت : الاستفهام تقريري ، وكفا بتفضيل أم المؤمنين لأبي سلمة رضي الله عنهما ، شاهد بأن مسألة (ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة) ليست قطعية وليست من المسائل المجمع عليها إطلاقا .

٥ – ومنهم من فضل السيدة فاطمة رضي الله عنها :

أ - أخرج الطبراني في الأوسط رقم (٢٧٢١) بسند صحيح الى عمرو بن دينار قال: قالت : عائشة: (ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها) .

قال الحافظ في الإصابة وقد عزاه للطبراني في الأوسط : وقال (٣٧٨\٤) : سنده صحيح على شرط الشيخين الى عمرو . انتهى .

وإن كان لم يسمع من عائشة فالحديث المرسل حجة عند كثير.

ب – ذكر المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير (٤٢٢\٤) : (ذكر العلم العراقي أن فاطمة وأخاها إبراهيم أفضل من الخلفاء الأربعة بالإتفاق).

ج – وقال الألوسي في روح المعاني (٤٢٢\٢٨) : (إن فاطمة من حيث البضعية لا يعدلها أحد).

د – في الحاوي الصغير للسيوطي (٢٩٤\٢) : قال مالك: لا أفضل على بضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد).

٦ – ومنهم من فضل أمهات المؤمنين رضي الله عنهن :

قاله ابن حزم في رسالته ضمن الفصل ، (٩٠\٤) : (والذي نقوله وندين الله به ونقطع على أ،ه الحق عند الله عز وجل أن أفضل الناس بعد الأنبياء نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم .) .

٧ – ومنهم من يفضل عليا على عثمان:

جاء في سير أعلام النبلاء (٤٥٧\١٦):

قال الدارقطني: اختلف قوم من أهل بغداد ، فقال قوم : عثمان أفضل ، وقال قوم : علي أفضل ، فتحاكموا إلي فأمسكت ، وقلت

الإمساك خير ، ثم لم أر لديني السكوت، وقلت للذي استفتاني : ارجع إليهم ، وقل لهم : أبو الحسن يقول : عثمان أفضل من علي باتفاق جماعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وىله وسلم، هذا قول أهل السنة ، وهو أول عقد يحل في الرفض).

قلت أي الذهبي) ليس تفضيل علي برفض ولا ببدعة ، بل قد ذهب إليه خلق من الصحابة والتابعين ...)

فبهذا الرد الجميل لمقالة الدارقطني – إن صحت نسبتها اليه – لا تكون القاعدة (ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة) قطعية بل مسألة ظنية لأن فيها اختلاف بين الصحابة والتابعين كما ذكر الحافظ الذهبي .

قلت : إن كانت مسألة تفضيل علي على عثمان قال بها بعض الصحابة والتابعين ، فقد وردت روايات عن بعضهم من يفضل غير الأربعة الخلفاء الراشدين كما تقدم ، فأجدر بنا أن نراعي مواطن الخلاف ونميز بينها وبين المسائل المجمع عليها .

٨ – ومنهم من توقف عن المفاضلة :

قال ابن عبد البر المالكي : الاستذكار (٢٠\١٤) : بسنده الى مالك، قال مالك : لا أفضل أحدا من العشرة ، ولا غيرهم على صاحبه ، وكان يقول : هذا علم الله الذي لا يعلمه إلا هو. ولمالك أقوال أخر.

وقال الخطابي في معالم السنن (وقال قوم لا يقدم بعضهم على بعض)

وقد ذهب الى ذلك الإمام المازري في المعلم بفوائد مسلم (١٣٧\٣) .

والى ذلك ذهب ابن ابي يزيد القيرواني فقال في عقيدته(ص٣٩١)

٨ – ومنهم من فضل عليا رضي الله عنه :

أ- أخرج الإمام أحمد في المسند (٣٥٠\٥) وفي فضائل الصحابة (١١٨٠- ص ٦٩٠) بأسانيد حسنة أو صحيحة : من حديث عبد الله بن بريدة، عن أبيه رضي الله عنه في حديث طويل وفيه: (فما كان أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحب إلي من علي)

ب- أخرج الخلال في السنة (٤٥٢): وأخبرنا عبد الله بن أحمد قال : ثنا داود بن عمرو الضبي ، وأنتخبه أبي عليه،قال : علي بن هاشم ، قال : ثنا أبو الجحاف ، عن معاوية ابن ثعلبة، قال: جاء رجال أبا ذر وهو في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وآله وسلم فقال : يا أبا ذر ألا تخبرني بأحب الناس اليك ، فإني أعرف أن أحبهم إليك أحبرهم لرسول الله؟ قال : أي ورب الكعبة، إن أحبهم الي أحبهم الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ذاك الشيخ، وأشار بيده الى علي وهو يصلي أمامه .)

ج- أخرج الامام أحمد في المسند (١٩٩\١) وفي الفضائل (١٠١٤) والنسائي في الخصائص (٢٣) حديثا من طريق أبي إسحاق السبيعي عن هبيرة بن مريم قال: خرج الينا حسن بن علي، وعليه عمامة سوداء، فقال: (لقد كان فيكم بالأمس رجل ما سبقه الأولون، ولا يدركه الآخرون ......) وصححه الحاكم وابن حبان.

د – أخرج النسائى (١٠٨)والحاكم وغيره عن أبي إسحاق قال: سألت قثم بن عباس، كيف ورث علي رسول الله صلى الله عليه وسلم دونكم؟ قال : (لأنه كان أولنا به لحوقا، وأشدنا به لزوقا.) ووافق الذهبي الحاكم على صحته.

وأخرج أحمد في الفضائل (١٠٩٧-١٠٣٣) من حديث شعبة، عن أبي إسحاق ، عبد الرحمن بن زيد، عن علقة، عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : كنا نتحدث أن أفضل أهل المدينة علي بن أبي طالب)

صحيح الإسناد .

ولما كان هذا النص صريحا في تفضيل علي رضي الله عنه وأيضا لا يتوافق

مع قاعدة (ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة)

قال إمام الحفاظ ابن حجر في الفتح (٥٨\٧) وقد عزاه للبزار (رجاله موثقون، وهو محمول على أن ذلك قاله ابن مسعود بعد قتل عمر).

وكنا تفيد الجمع : أي الكثرة .

وقد قال الحافظ في الاصابة في ترجمة الصحابي أبي طفيل عامر الدوسي رضي الله عنه (قال أبو عمر: كان يعترف بفضل أبي بكر وعمر، لكنه يفضل عليا).

- قال الحافظ في الإصابة في ترجمة الصحابي هاشم بن عتبة بن أبي وقاص (٥٣٩\٣): وقال المرزباني : لما جاء قتل عثمان الى أهل الكوفة قال هاشم (الصحابي) لأبي موسى الأشعري – رضي الله عنهما- تعال يا أبا موسى بايع لخير هذه الأمة علي ، فقال:

لاتعجل، فوضع يده على الأخرى فقال : هذه لعلي وهذه لي ، وقد بايعت عليا وأنشده :

أبايع غير مكترث عليـــا ولا أخشى أميرا أشعريا

أبايعه وأعلم أن سأرضى بذاك الله حقا والنبيــــــا

- وقال ابن حزم في الفصل في رسالة وجوه المفاضلة بين الصحابة (٢٠٩\٤) : وأيضا فإن يوسف بن عبد البر حدثنا ، قال : حدثنا خلف بن قاسم ،ثنا أ[و العباس أحمد بن علي الكندي ، حدثنا محمد بن العباس البغدادي ،ثنا ابراهيم بن محمد المصري ، ثنا أبو أيوب سليمان بن داود الشاذكوني، قال: كان عمار بن ياسر، والحسن بن علي يفضلان علي بن ابي طالب على أبي بكر الصديق وعمر .)

- وقال ابن عبد البر في الاستيعاب (٥٢\٣) بهامش الاصابة : واختلف السلف أيضا في تفضيل علي وأبي بكر)

قلت : قد جاءت آثار عن الصحابة في تفضيل سيدنا علي والآن نأتي الى السلف الصالح ، فكيف بعد ذلك كله يقول قائل : إن المسألة مجمع عليها !!

- أورد ابن عساكر بإسناده الى الابن أبي خيثمة(٣١١\٣) قال: سمعت يحيى بن معين قال يحيى بن آدم :ما أدركت أحدا بالكوفة إلا يفضل عليا يبدأ به ، غير سفيان الثوري.)

- أورد ابن عساكر بسنده الى ابن أبي خيثمة(٣١١\٣) قال: حدثنا أحمد بن منصور بن يسار ،حدثنا عبد الرزاق قال : قال معمر مرة وأنا مستقبله وتبسم وليس معنا أحد فقلت :ما شأنك ؟ فقال :عجبت من أهل الكوفة، كأن الكوفة بنيت على حب علي ، ما كلمت أحدا

منهم إلا وجدت المقصد منهم الذي يفضل عليا على أبي بكر وعمر، منهم سفيان الثوري ، قال : فقلت لمعمر، ورآني كأني أعظمت ذلك ، فقال معمر : وما ذالك؟ لو أن رجلا قال : عمر أفضل من علي وأبي بكر ما عنفته، قال عبد الرزاق: فذكرت ذلك لوكيع ونحن خاليان ، فأشتهى لها وضحك وقال : لم يكن سفيان يبلغ بنا هذا الحد ، ولكنه أفضى الى معمر ما لم يفض إلينا.)

وقد اختلفت الروايات عن سفيان فقد أورد الفسوي في المعرفة والتاريخ (٨٠٦\٢) : كان سفيان الثوري : أبو بكر وعمر عثمان ثم يسكت .

وربما تفوه سفيان الثوري بتفضيل أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ويسكت عن علي ، خوفا من السلطة الأموية التي جاءت روايات في المسند ومسلم وغيرها تحكي واقعة سب سيدنا علي على المنابر ، والله أعلم بما كان عليه الإمام.

- الكلام على حديث سيدنا ابن عمر :

أخرج أحمد (١٤\٢) والبخاري في الصحيح (٣٦٥٥,٣٦٩٧) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما(كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبي بكر أحدا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا نفاضل بينهم .)

قال الحافظ في الفتح (٥٨\٧): اتفق العلماء على تأويل كلام ابن عمر ، هذا لما تقرر عند أهل السنة قاطبة من تقديم علي بعد عثمان، ومن تقديم بقية العشرة المبشرين على غيرهم، ومن تقديم أهل بدر على من لم يشهدها ، وغير ذلك ، فالظاهر أن ابن عمر إنما أراد بهذا النفي أنهم كانوا يجتهدون في التفضيل فيظهر لهم فضائل الثلاثة ظهورا بينا فيجزمون به ..)

قلت كلام الحافظ جميل وسوف أعلق عليه مستعينا بالله:

(اتفق العلماء على تأويل كلام ابن عمر ، هذا لما تقرر عند أهل السنة قاطبة من تقديم علي بعد عثمان) هذا كلام جيد ، فابن عمر رضي الله عنه قال هذا الكلام وهو في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يدري من سيخلف النبي صلى الله عليه وسلم ولا يدري من سيخلف بعد خليفة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا يدل على أنهم كانوا يفاضلون بحسب فضائلهم والفضائل متعارضة ودلالتها لا تفيد القطه أبدا ، وهذا اجتهاد منهم رضي الله عنهم كما قال الحافظ.

(ومن تقديم بقية العشرة المبشرين على غيرهم، ومن تقديم أهل بدر على من لم يشهدها ، وغير ذلك) ومن تفضيل من أنفق من قبل الفتح وقاتل على من أنفق من بعد الفتح وقاتل وأحاديث فضائل الأنصار والمهاجرين.

(فالظاهر أن ابن عمر إنما أراد بهذا النفي أنهم كانوا يجتهدون في التفضيل فيظهر لهم فضائل الثلاثة ظهورا بينا فيجزمون به)

قول الحافظ (يجتهدون) بيان جلي على أن المسألة لم تبن على دليل من الكتاب والسنة بل كانت مجرد اجتهاد ناتج من مقابلة فضائلهم فهذا الذي ظهر لسيدنا ابن عمر رضي الله عنه، ولفظ الحديث (كنا) لا يفيد قول كل الصحابة بل بعضهم ، لما صح أن عبد الله بن مسعود قال(كنا نتحدث أن أفضل أهل المدينة علي بن ابي طالب) وهذا اجتهاد آخر بلفظ (كنا) ولما صح من تقديم أم المؤمنين أم سلمة لأبي سلمة ، ولما ورد من تفضيل أبي هريرة لجعفر على سائر الصحب ، وغيرها من التفضيلات عن الصحابة أنفسهم وعن من بعدهم من التابعين وعلماء الأمة، وإذا كان الأمر ناتج عن اجتهاد فلا يمكن لأحد أن يحتج بلفظ (كنا) في حديث سيدنا ابن

عمر ويقول هذا اجماع الصحابة ، لما قد ورد من تفضيل سيدنا علي بلفظ (كنا) وعشرات التفضيلات الناتجة عن اجتهادات ، والإجتهاد لا ينقض بالإجتهاد ، فقد قال الشوكاني في إرشاد الفحول (١٦٠ص) : (المبحث التاسع عشر : إذا خالف أهل الإجماع واحد من المجتهدين فقط فذهب الجمهور الى أنه لا يكون إجماعا ولا حجة) الى أن قال (أما من جهة الإجتهاد فلا (أي فلا يقبل الإجماع اذا خالف المجتهد الواحد) لأن الحق قد يكون معه .) انتهى كلام الامام الشوكاني .

قلت : كلام الشوكاني في مخالفة المجتهد الواحد فكيف اذا خالف قوم من المجتهدين فيهم أكابر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

فكيف بعد ذلك الكلام ينقل بعضهم الإجماع على مسألة التفضيل ، أو يقول أنها من المسائل القطعية !!!

- وهناك ثمت أسئلة قد تدور لدى البعض :

قد يقول قائل أن هناك تعارض بين قول ابن عمر (لا نعدل بأبي بكر أحدا) بقول الصديق (وليتكم ولست بخيركم).

وقد يقول أيضا بالتعارض بين قول سيدنا ابن مسعود (كنا نتحدث أن أفضل أهل المدينة علي بن ابي طالب) بقول سيدنا علي (خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر)

نقول : لا تعارض لأسباب :

١- ليعلم أن المسألة ظنية وليست قطعية ، لذا تتعدد في الآراء والمذاهب.

فالذي يقول بالأفضلية القطعية للصديق ، يقف أمام هذا النص وأمام نصوص كبار الصحابة في تفضيل غير الصديق ، ومن يقول بالأفضلية القطعية لسيدنا علي يقف أمام هذا النص ، وغيرها من نصوص أكابر الصحابة التي فيها تفضيل غير سيدنا علي ، رضي الله عنهم أجمعين

٢- وأيضا يحمل قولا سيدنا أبي بكر وسيدنا علي على نفي مدح الناس لهما،وهضم النفس فإنهم كانوا أهل دين وورع وتقوى ومراقبة ومن ذلك قول سيدنا علي بابنه محمد بن الحنفية (أبوك رجل من المسلمين) قال الحافظ في الفتح (هذا قاله علي تواضعا) مع العلم بأن أكثر الفضائل المروية في كتب المناقب والفضائل ، فضائل سيدنا علي رضي الله عنه ، وفي ذلك ردا على المدعين بأن أهل السنة لا يعطون لأهل البيت حقهم ، ولهم في رسول الله أسوة حسنة ، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا تخيروني على موسى) وقال (لا تفضلوا بين الأنبياء) ومعلوم أنه سيد ولد آدم وخير البشر على الإطلاق بلا نزاع قولا واحدا ، ولكن أراد أن يهذب أمته، ويرشدهم الى الطرق المحمدية لتطهير النفس وتزكيتها .

- الخاتمة :

بعد ما تقدم من كلام حول مسألة التفضيل بين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وبيان القطعي والظني، فلا ينكر على من خالف في مسألة ظنية فمن قال (ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة) فلا غضاضة في ذلك ، ومن قال أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أفضل فهذا ما توصل اليه باجتهاده ، ومن فضل عليا رضي الله عنه فلا ينكر عليه ، ومن فضل ابن عباس رضي الله عنه فلا حرج ، وعلينا أن نعض بالنواجذ على ما تفقنا عليه، ونفتح صدورنا

وعقولنا للاختلاف لتكون المودة والإتلاف سائدة بين أمتنا، فيكفي الأمة ما هم فيه من التشتت وعدم توحد الكلمة من كل نواحي الحياة ، والله المستعان وعليه التكلان ، وصلى الله على سيدنا ولد عدنان ، وعلى آله الطيبين ، والصحابة المبجلين، ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

جمع في يوم الجمعة – جمع الله شمل المسلمين –

في التاسع والعشرين من شهر رمضان المبارك